وهذا سؤال مهم، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية؟، وهل إذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد إيماننا بالدين أو يتزعزع من قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى، أو هذه الصلة بين الله والإنسان؟.

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين، وانتشرت فى أوربا موجة شديدة من الإلحاد باسم العلم، ذلك أن العلم كان ينادى بالحتمية التى تعنى أنه إذا ما توافرت الشروط والأسباب تحتم وقوع النتائج، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به إلى علة أخرى خلاف وجود المادة، وحركتها، وتطورها، وسيرها فى طريقها المحتوم. ولكن منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم العالم باسم العلم ذاته، وقد ترجم فى مصر إلى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التى تحث على الإيمان عن طريق العلم، مثل كتاب العلم يدعو إلى الإيمان، وكتاب الله يتجلى فى عصر العلم، وغير ذلك وراجت هذه الكتب رواجا عظيما، وطبعت أكثر من مرة مما يدل على تعطش قراء العربية إلى مثل هذا النوع من الدراسات، ولا غرابة فى ذلك، فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغلغل فى جميع شئون الحياة، وأصبح تفكيرنا فى الأعم الأغلب تفكيرا علميا.

خطة الكتاب:

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين:

الجزء الأول: موضوعه النزعة الطبيعية ويتكون من أربعة أبواب. الباب الأول: عن أوجست كومت ودين الإنسانية، وفيه نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت، وتأويل المذهب وقيمته، وفى الباب الثانى: نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر ومالا يمكن معرفته، وفى ذلك يصنع المؤلف ما صنعه مع كومت، أما الباب الثالث: ففيه الحديث عن هيجل والوحدانية وفيه الحديث عن مذهبه وقيمة هذا المذهب، والفلسفة الأخلاقية، أما الباب الرابع: فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى، وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى، ونقد المذهب النفسانى والاجتماعى.